استهداف الذاكرة الحضارية للعراق
- نهب وتدمير الاثار انموذجاً-

الدكتور
علي شمخي جبر
اللقب العلمي : مدرس
وزارة الثقافة – مركز الدراسات والبحوث
البريد الالكتروني ali_shmkhi@yahoo.com

Targetingthe cultural memory of Iraq The example of looting and destruction of archeology

Ali Shamki Jaber
The Academic title: Lecturer

الملخّص :

شهد العراق خلال السنوات المنصرمة سلسلة من الحروب والازمات تسببت بانعكاسات سياسية واقتصادية واجتماعية على الدولة والشعب ومن بين هذه الانعكاسات ماخلفته العمليات العسكرية المتمثلة بحرب الخليج الاولى والثانية وماأعقبها من احتلال للاراضي العراقية من قبل القوات الامريكية والقوات المتحالفة معها واسقاط النظام السابق وسقوط العديد من المؤسسات الرسمية وفقدان السيطرة الامنية على اجزاء ومساحات واسعة من الاراضي العراقية واستغلال عصابات الارهاب والجريمة لهذه الظروف في مراحل مختلفة من التاريخ الحديث للعراق وارتكابها لسلسلة من الانتهاكات والجرائم بحق الشعب العراقي والممتلكات العامة للدولة العراقية ومن بينها المواقع الاثارية والحواضر الثقافية والدينية المتمثلة بالمعابد والاضرحة والكنائس التي تعود الى عهود سحيقة والتي لطالما شكلت ذاكرة حضارية للعراق وشعبه ابهرت المؤرخين والباحثين في مجال الحضارة والاثار وياتي هذا البحث لتتبع حقبة سوداء مر بها العراق وفقد فيها الكثير من هذه الممتلكات بسبب اعمال التخريب والسرقة والحرق التي اقدمت عليها عصابات اجرامية ينتمي بعضها الى تنظيمات متطرفة وتقف خلفها اطراف خارجية وبتواطيء من جهات داخلية امنت بفكر متطرف وتحركت.

الكلمات المفتاحية الذاكرة الحضارية . استهداف الاثر الحضاري . التكفير والصنمية, محميات اليونسكو ,عصر الكهوف , فكر متطرف ومنحرف

Abstract:

over the past years, Iraq has witnessed a series of wars and crises led to many political, economic and social consequences on the State and people , within these consequences the outcomes of the military operations of the first and second Gulf war and late on the occupation of Iraqi territory by Us and allied forces on the wake of downfall the former regime and many official institutions then loss of security control over large parts of Iraq'sterritoriesand land due to exploit these conditions by the terrorism, crime groupsthose whom committed a series of violations and crimes against the Iraqi people and the Iraqi State public propertyat various stages in the recent history of Iraq, within these violations

the cultural and religious cities represented by temples, shrines and churches dating back to the many ages ago that have long been constituted a cultural memory of Iraq and its people and impressed historians and researchers in the field of civilization and relics. This research comes to trace a black era passed by Iraq causing of loss a lot of these properties because of the acts of destruction, theft and burning some of them by extremist crime organizations oriented by external parties and supported also by some of internal bodies that believed in extremist thought and motivated by greed, revulsion and hatred feeling aimed to

.

In other sections, the research dealt with the manifestations of aggression caused by terrorist groups (Daásh) on sites that were classified as civilized sites in Iraq, in addition to what has happened to the historical places of worship of various religions belonging to nations and peoples that alternated on the construction of different civilizations in Mesopotamia.

Key words :Civilization emory,Targeting cultural heritage ,Antonement and idolatry,Modern babylonian eta,UNESCO reserves,Age of caves ,Think a deviant radical

الاطار المنهجي

اهمية البحث

لايزال ملف استهداف الارث الحضاري للعراق ملفا مهما تحرص الدولة العراقية من خلال مؤسساتها المعنية بالشان الثقافي على متابعته يساندها في ذلك مجموعة من الوزارت والمنظمات التي تقع على عاتقها الاتصال بدول العالم الاخرى من اجل تعقب المتهمين بجرائم تدمير وحرق اماكن العبادة الدينية والمعالم الحضارية والمتهمين بجريمة نهب وتدمير الاثار العراقية وياتي هذا البحث لتسليط الضوء على هذه الجرائم عامة وعلى جريمة تدمير ونهب الاثار العراقية خاصة وحرص الباحث على تناول الاحداث في حدودها الزمنية الممتدة من ٢٠٠٣ وحتى الوقت الراهن

هدف البحث

يهدف الباحث في بحثه هذا الى تحديد مظاهر الجرائم التي اقترفها مجرمون بحق الذاكرة الحضارية العراقية وتوثيق علاقة الشخوص والامكنة المرتبطة بملف الارث الحضاري العراقي عامة والمتاحف والاثار خاصة والتعرف على موقف ودور المؤسسات الثقافية في العراق في مجال حفظ الارث الحضاري لبلاد مابين النهرين وتتبع السياسة الوطنية في مواجهة الانتهاكات والجرائم المتمثلة بسرقة وتدمير وحرق الاثار والادوار التي لعبتها او تورطت فيها اطراف داخلية وخارجية في هذه الجرائم وفي هذا الملف الخطير والمهم الذي يرتبط بتاريخ العراق الحديث والمعاصر

مشكلة البحث

تعددت الاعتداءات بحق الاثار العراقية وتناوب على ارتكابها اشخاص وعصابات منظمة وجهت في حالات منها الاتهامات بارتباطها مع جهات خارجية وتم التعرف في اوقات متفاوتة على بعضها بالتعاون بين الجهات الامنية العراقية والشرطة الدولية فيما تم الكشف عن تواطيء بعض العناصر وانخراطها في شبكات لتهريب الاثار اعقبت سقوط النظام السابق والاحداث التي رافقت مظاهر التغيير في العراق فيما شكلت الجرائم التي اقترفتها التنظيمات الارهابية بمسميتها المختلفة (القاعدة وداعش) فصلا جديدا من فصول الجريمة بحق الارث الحضاري للعراق وياتي هذا البحث ليتعمق في هذا الحدث

الابرز من اجل تحديد اهم الاسباب التي فاقمت من هذه المشكلة الخطيرة وردود افعال المؤسسات الثقافية العراقية والعربية والعالمية تجاهها

منهجية البحث

اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي من اجل الاقتراب من الحقائق المترتبة على موضوعة من موضوعات الشان الوطني تفاعل معها الشعب العراقي وشعوب العالم الاخرى واطلع الباحث على مجموعة من البيانات والوثائق التي سجلت بالكلمة والصورة مراحل مهمة من الاعتداء على الاماكن الحضارية في العراق وحاول في هذه البحث توظيفها للخروج بنتائج علمية تؤهل البحث الى مراتب الرصانة في الوصف والتحليل

مقدمة

شهد العراق خلال العقود الاخيرة من القرن العشرين واوائل القرن الحادي والعشرين مجموعة من الاحداث الخطيرة التي تركت اثارا سيئة على الواقع الاقتصادي والثقافي والاجتماعي ونالت كثيرا من الامن والاستقرار في حياة الشعب العراقي حيث تسببت الحروب العبثية التي اقدم عليها النظام السابق في جر الويلات وراح ضحيتها الملايين بين قتيل وجريح ومعوق فيما تعرضت مواقع ثقافية لطالما شكلت الذاكرة الحضارية للعراق الى القصف والتدمير ومن ثم اسهم الانحلال الامني في فسح المجال وتهيئة الظروف الامنة لجاميع من اللصوص والمجرمين لسرقة الاف القطع الاثرية وحرق ونهب الاماكن التاريخية الاثرية في العاصمة بغداد والمحافظات العراقية الاخرى وكان الاحتلال العراقي للكويت وماعقبه من عقوبات دولية تمثلت بشن الحرب على العراق وفرض الحصارعلي النظام والشعب البوابة الرئيسية التي فقدت فيها الدولة العراقية السيطرة على الارث الحضاري للعراق ممثلا بالمواقع الاثرية والمتاحف والمكتبات وصولا الى الحرب التي شنتها الولايات المتحدة الامريكية وحلفاؤها عام ٢٠٠٣ وتسببت باسقاط النظام والتحول من النظام الشمولي الى النظام التعددي ومارافق هذا التغيير من احداث امنية تمثلت باستلام ادارة التحالف شؤون العراق بشكل مؤقت وتولي القوات متعددة الجنسيات حماية الحدود العراقية حيث تمكنت في هذا الوقت مجموعات ارهابية مسلحة من الدخول الى العراق وممارسة النشاط الارهابي بمختلف انواعه استغلت

انشغال السلطة السياسية العراقية الجديدة بترتيب الاوضاع واعادة الحياة الى مرافق الدولة المختلفة مما ساهم في حصول اعمال النهب والحرق والسرقة وتسببت الفوضى العارمة التي رافقت هذه الاحداث في سقوط العديد من مؤسسات الدولة الثقافية بايدي العابثين من السراق الذين اقدموا على افراغ هذه المؤسسات من محتوياتها المادية بما فيها اللقى والاثار واللوحات والكتب والوثائق فيما انضمت اليهم مجاميع اخرى تولت تهريب الاف المقتنيات التاريخية المهمة الى خارج العراق ويمكن القول ان هذه الفوضى مرت بمراحل مختلفة وسنورد في هذا البحث حدودها الزمانية والمكانية من اجل التعرف بشكل دقيق وعميق على تفاصيل ماجرى والتعرف ايضا على الدور والمسؤولية التي كانت تقع على عاتق المؤسسات الثقافية والمؤسسات المعنية بحماية الاثار العراقية ومتابعة ملف المجرمين الذين اقدموا على ارتكاب جرائمهم بحق التاريخ والحضارة العراقية وقد حاول الباحث في بحثه هذا الاستفادة من الاصدارات التي وثقت هذه المرحلة المهمة من التاريخ العراقي الحديث والمعاصر وتم الاتصال بعدد من المختصين والعاملين في مجال الاثار في المتحف الوطني العراقي من اجل الحصول على المصادر الحية التي تحدثت عن هذه الحقبة وقد قسم الباحث بحثه هذا الى ثلاثة مباحث تناول في المبحث الاول تسجيلا وتوثيقا لاهم المواقع الاثرية في العراق وسردا لذاكرة العراق الحضارية فيما تناول المبحث الثاني الدور الذي يضطلع به المتحف العراقي وهو احد المؤسسات الثقافية المهمة الذي يقع على عاتقه منذ تاسيسه عام ١٩٢٣مسؤولية حماية وصيانة الاثار العراقية وماتعرض له هذا المتحف من عمليات اعتداء ونهب بعد عام ٢٠٠٣ اما المبحث الثالث فقد سلط الضوء على مظاهر العدوان وهتك الحواضر الثقافية في العراق عامة والاثار خاصة من قبل تنظيم داعش الارهابي وموقف المؤسسات الوطنية والثقافية وجهودها من اجل ايقاف امتدادات هذه الجريمة وتداعياتها وفي هذه اللحظة يتمنى الباحث ويدعو الله ان يكون قد قدم جهدا يسيرا يضيف فيه الى ماقدم من جهود في سبيل توثيق مظاهر العدوان على الثقافة العراقية والعمل على ايجاد ستراتيجية وطنية لاعادة الحياة والالق لما تم تخريبه وتدميره واستعادة الدور الثقافي الذي تؤديه الاماكن والشواخص التاريخية الحضارية في بلاد مابين النهرين .

لطالما شكلت حضارة وادي الرافدين مركز اشعاع حضاري وقد اهتم الباحثون في تاريخ وحضارة بلاد الرافدين بدراسة نوعين من المصادر الهامة التي تمثل مجمل النشاطات التي مارستها المجتمعات البشرية هنا تلك هي : الاثار المادية والنتاجات الفكرية التي زودت بها الكتابات القديمة وهي بمجموعها تعرف باسم المواد الحضارية (Cultural Material) وتشمل الاثار المادية جميع المخلفات التي تركها الانسان جراء نشاطاته الحياتية المختلفة التي عبرت عنها الصناعات والفنون على اختلافها بدءا من صناعة اولى الادوات الحجرية والمواد الاخرى المصنوعة من المواد العضوية فيما تشكل الكتابات القديمة خلال التنقيبات الاثارية ثروة تاريخية حضارية هائلة عبرت عن الكثير من الجوانب الفكرية لسكان بلاد الرافدين منذ اواخر الالف الرابع قبل الميلاد (١) وفي هذه البلاد بدا التاريخ مثلما يقول عالم الاثار الغربي صاموئيل نوح كريمر (هنا بدا التاريخ) وهو يتحدث عن الاصالة في حضارة وادي الرافدين ويتابع القول اول مدرسة في العالم اول حكم ديمقراطي في العالم اول اصلاحات اقتصادية واجتماعية اول قانون في العالم اول كتاب صيدلة في العالم اول تقويم زراعي في العالم اول مقولة في الكون والتكوين والقائمة تطول عن ميزات الذاكرة العراقية (٢) وتمثل الاثار بكل حيثياتها ذاكرة الاجيال والتواصل بين الماضي السحيق والحاضر والمستقبل ومن خلال بقايا الانسان نستمد عبق التاريخ ومعرفة كل مايمكن معرفته عن حياة اقدم الناس فالحالة الحاضرة للانسان هي صنيعة سلسلة الاحداث الماضية (٣)

وقد اشار القران الكريم الى اهمية دراسة واقتفاء اثار الماضي وحث الناس على الدوام في البحث واستقصاء حقائق الاقوام السابقة ففي سورة غافر (اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة واثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وماكان لهم من الله من واق) وغيرها من الايات الكريمة التي جاءت بذات المعنى وهذا مصداق لضرورة اطلاع الانسان على اسلافه والاستفادة من عبر الماضي (١) وقد ضمت ارض العراق مجموعات مهمة ومتنوعة من شتى اللقى الاثارية اضافة الى بروز معالم مدن وشواخص دلت على رقي الحضارات المختلفة في ارض مابين النهرين وقد اصدر المجلس العالمي للمتاحف الذي تاسس عام ١٩٤٦ قائمة باهم رموز التراث الثقافي للعراق تشكل الذاكرة الحضارية لهذا البلد وقد اطلق عليها

تسمية (قائمة الطواري الحمراء للقطع الثقافية العراقية المعرضة للخطر) وقد احتوت هذه القائمة جردا منظما ومتسلسلا باهم القطع الاثارية المسروقة او التي هي اكثر عرضة لخطر السرقة والاتجار غير القانوني وقد غطت القائمة العصور القديمة في بلاد وادي الرافدين (عصور حسونة , سامراء , خلف , العبيد ,الوركاء , عصر فجر السلالات السومرية , العصر الاكدي , والعصر البابلي , والعصور الاشورية) ١٠٠٠٠ - ٥٣٩ ق . م(٢) كماغطت القائمة العصور الكلاسيكية (العصر الاخميني , السلوقي , الفرثي وعصر الامبراطوريتين الرومانية والساسانية) ٥٣٩ ق . م - ٦٣٢ للميلاد والفترة المغولية ١٢٨ - ١٥٣٤ للميلاد ومن ثم عصر الاحتلال العثماني وحكم المماليك ١٥٣٤ - ١٨٣١ للميلاد وتضمنت جردا موثقا بالصور والرسوم والارقام والسنوات لقطع الالواح الطينية او الحجرية والمخطوطات والكتب والوثائق والطبعات والاختام والعناصر العمارية والمنحوتات (التماثيل) التصويرية والاواني والاوعية والاكسسوارات والادوات والمسكوكات (٣)

ان ماجرى في العراق خلال العقود الماضية ليس باقل من محو السجل المادي لاول حضارة مدنية وثقافية في العالم حيث ان عشرات الالاف من التحف قد تم نهبها وان المواقع الاثرية نفسها تشهد بصمت على حجم الدمار الذي تعرضت له خاصة في المدن القديمة (اور , اوروك , ونيبور) اضافة الى ماضمه المتحف الوطني العراقي في بغداد حيث كانت حادثة نهب هذا المتحف هي الضربة الاكثر وضوحا للارث الثقافي في العراق (١) وان بلاد النهرين التي يمكن اعتبارها العراق الحالي العريقة كانت مهدا لاعظم الحضارات والتي اشتملت على الحضارات السومرية , البابلية والاشورية وانها المنطقة التي انتجت اهم التحف المعمارية والفنية عبر الاف السنين (٢) وللدلالة على سعة الذاكرة الحضارية في هذه البلاد فان العراق كانت تتوزع فيه ثلاثة عشر متحفا محليا حتى عام ١٩٩١ ضمت فيها اكثر من ٢٠٠٠٠ قطعة اثرية ومايزيد على ١٢٠٠٠ رقم ومن بين اهم المدن الاثرية التي تعرضت الى النهب والتدمير تبرز حضارة العراق وذاكرته الثقافية بشكل جلي في المواقع القديمة لمدن(اور) التي تبعد ١٧ كم جنوب شرق مدينة الناصرية جنوب العراق وهي عاصمة للسومريين وموطن النبي ابراهيم التي ولد فيها بين ٢٠٠٠ - و١٧٠٠ قبل الميلاد واشتهرت بزقورتها ومعابدها ومدينة (النمرود) العاصمة الثانية

للاشوريين جنوب مدينة الموصل ومدينة (نينوى) و(ايسن) اللتان تقعا جنوب مدن الفرات الاوسط في قضاء(عفك) و(بابل) التي تضم بوابة عشتار والجنائن المعلقة والقصور والمسرح البابلي و(نينوى) و(اشور) و(اوروك) و(سامراء) وغيرها من المدن اضافة الى بقايا الشواخص الحضارية من العصور الاسلامية (٣)

المبحث الثاني

نهب المتحف الوطني العراقي وسرقة الاثار

تاسس المتحف الوطني العراقي في عام (١٩٢٣) في احدى غرف الطابق الاسفل من مبنى القشلة ببغداد وكان لايحتوي الا على مجموعة صغيرة من المواد الاثرية المختلفة . ثم تطور حتى نمت مجموعاته في عام (١٩٢٦) بسبب تعدد البعثات الاثرية فضاقت به الغرفة الصغيرة وصار من الضروري ايجاد محل مناسب له لذلك خصصت له بناية كانت ملحقة بمطبعة الحكومة ولم يكن المتحف يحتوي في باديء الامر سوى قاعة واحدة كبيرة اتخذت معرضا احتوت على اثار صخرية ومقادير من المواد الفخارية وفي مطلع عام ١٩٣١ حدث تغيير في امانة المتحف وطرا تبدل في ادارة الاثار القديمة فاتجهت الجهود نحو اصلاح حالة المتحف الداخلية واتخاذ التدابير للمحافظة على المواقع الاثرية ومن الاصلاحات الخارجية احداث مفتشية الاثار القديمة وتعيين العدد الكافي من الحراس في مواقع الاثار (١) ويعد المتحف العراقي واحدا من اهم المتاحف المعاصرة لا في العراق وحده بل في العالم لانه يضم اقدم العاديات واندرها منذ اقدم العصور المعروفة وحين ضاقت بناية المتحف القديمة شيدت له بناية في الجانب الغربي من بغداد روعي فيها اساليب بناء المتاحف العصرية وتم افتتاحه باحتفال مهيب على مستوى عالمي في التاسع من شهر تشرين الثاني (١٩٦٦م) وتضافرت الايدي الفنية في عرض الاثار في هذا المتحف الجديد حتى اصبح اية في اسلوب العرض وتناسق الالوان والاضاءة مما يسر للزائرين ان يمروا بين المعروضات من قاعة الى اخرى دون ملل رغم سعة المتحف وكثرة اثاره التي تجاوزت مئات الالوف من القطع الاثرية رتبت في خزانات زجاجية حديثة الصنع او رصفت على الجدران وفق اصنافها وازمانها (١)

يقع هذا المتحف في منطقة شعبية (علاوي الحلة) في الجانب الغربي من بغداد وقد اختيرت الارض التي بني عليها المتحف قبل الحرب العالمية الثانية ووضعت التصاميم

الخاصة به من قبل مهندسين عالميين واشرف على بنائه اشهر المهندسين العراقيين في الارض المخصصة لبنائه وهي بستان (حسون اغا) .(١) لقد تعرض العراق عام ٢٠٠٣ الى كارثة كبرى بسبب احتلاله من قبل قوات التحالف ومارافق ذلك من عمليات عسكرية لاتقل خطورة عن الاحتلال نفسه ابرزها سرقة المتحف العراقي ونبش المواقع الاثرية وسرقة ونهب وتدمير وتخريب وحرق المؤسسات والمنشات الحضارية والثقافية والفنية في الايام الاولى لسقوط النظام بمراى ومسمع من القوات الامريكية التي كانت متواجدة في معظم الاماكن التي تعرضت للسلب والنهب والتدمير والتخريب لمدة يومين متتالين هما يوم (١٠ - ٢٠٠٣\٤\١١) تعرضت فيهما العصابات الى كل ماموجود في المتحف الوطني العراقي وادارة الهيأة العامة للاثار والتراث ولم تترك وراءها شيئا يستحق الذكر الا ونالته يد الدمار والخراب (٢) ان ماحدث في المتحف العراقي لايصدقه العقل وقد كانت وزارة الثقافة قد قررت قبل وقوع الاعمال العسكرية اخلاء جميع الاثارالمعروضة في قاعات المتحف الوطني العراقي وحفظها في صناديق من الحديد والخشب وايداعها في مخازن المتحف العراقي الحصينة والابقاء على التماثيل الكبيرة والجداريات الا ان العمل الذي اضر بالاثار وكان السبب في ضياع نماذج فريدة من نوعها هو الابقاء على (٤٢) قطعة اثرية في الخزانات الزجاجية التي كانت معروضه فيها وهي من انفس الاثار التي كانت معروضة في قاعات المتحف العراقي (٢)

منها (الاناء النذري) الذي استرجع فيما بعد وكان محطما و(بدن القيثارة الذهبية) التي عثر عليها في مدينة اور من قبل المنقب الانكليزي السير وولي في عام (١٩٢٢) وتمثال اكدي من البرونز يسمى تمثال (باسطكي) الذي اعيد فيما بعد وراس فتاة سومرية من الوركاء ومجموعة اخرى من نفائس الاثار (١) وقد حلت الكارثة العظمى في يوم ٢٠٠٣\٤\١٠ حين حاصرت العصابات بناية المتحف وكان يقدر عددهم بالالاف وكانوا مسلحين بالاسلحة النارية والجارحة والعصي وقضبان الحديد والمطارق والفؤوس وحاولوا عدة مرات كسر الابواب الزجاجية والدخول الى المتحف فيما تمكنت بعد حين مجاميع العصابات من الوصول الى الباب الفولاذي المشترك والذي كان مفتوحا وهو يؤدي الى مخزنين كبيرين ويضم مجموعة من الصناديق تم افراغ محتوياتهما وتهشيم عشرات الاواني الفخارية التي كانت محفوظة في هذه الصناديق وبعثرتها على الارض

وانتقاء افضل القطع الاثرية وسرقتها من قبل لصوص مختصين كانوا يعرفون مكانها مسبقا وقد تمكنت بعض وكالات الانباء في يوم الجمعة ٢٠٠٣\٤\١١ من الدخول الى المتحف العراقي وتسجيل عمليات السلب والنهب والتدمير وبخاصة الاثار التي كانت معروضة في الخزانات الزجاجية وتهشيم التماثيل الكبيرة والفخار التي تشاهد مبعثرة على الارض فضلا عن الصناديق الفارغة واللصوص داخلين خارجين يحملون القطع الاثرية (٢) ولم تكن سرقة المتحف العراقي في بغداد والمتاحف الاخرى في المحافظات هي اول سرقة تتعرض لها هذه المراكز الحضارية فقد سرقت بعض الاثار اثناء حفظها في المخازن وحصل تحقيق بذلك لكن دون جدوى وسرق متحف الموصل وسرق متحف الشرقاط ومتحف بابل وعدد من المواقع مثل (نمرود) و(الحضر) و(نينوى) وعدد كبير من المواقع في الوسط والشمال والجنوب (٣)

وفي الانتفاضة الشعبانية التي حدثت عام (١٩٩١) تعرضت معظم المتاحف العراقية في الوسط والشمال والجنوب الى سرقة كافة اثارها ومحتوياتها وحرقت ابنيتها باستثناء المتحف الوطني في بغداد (١) ان كل ماتم سرقته من اثار ووثائق وسجلات ومستمسكات تمثل تراث العراق المنقول خلال عدة قرون وقد قامت لجنة مختصة بجمعه في الثمانينات جابت العراق من شماله الى جنوبه ومن شرقه الى غربه في القرى والارياف والمدن وقامت بشراء مايصلح للعرض والدراسة وهي مواد فضية ونحاسية وخشبية وزجاجية وعاجية وملابس تقليدية ووسائل انارة وادوات مطبخ وادوات حمام قديمة وخناجر وسيوف وادوات حدادة ونجارة وصياغة وفرش وشراشف واغطية صوفية وقطنية وحريرية وقد قام رئيس الرابطة الامريكية للابحاث في بغداد باجراء مسح على القطع الاثرية سنة ٢٠٠٣ ووجد ان هناك (٦٠٠٠) قطعة اثرية مفقودة حسب ماذكره فريق التحقيق الامريكي وان هذا العدد بارتفاع مستمر فيما جاء في المؤتمر الصحفي الذي عقد في المتحف البريطاني بلندن في بداية شهر تموز من عام ٢٠٠٣ وحسبما اعلنت الدكتورة نوالة المتولي مديرة المتحف العراقي ان عدد القطع المفقودة قد تصل الى (١٣٠٠٠) الف قطعة اما دمرت او نهبت بما في ذلك الاختام الاسطوانية (٢) وقد تضاربت اقوال المسؤولين عن ادارة المتحف ولم يتفق اثنان على رقم واحد وذلك لعدم وجود سجلات خاصة بالاثار باستثناء السجلات القديمة التي يعود تاريخها الى اكثر من

خمسين سنة وبهذا يقول رئيس لجنة التحقيق لتقصي الحقائق عن سرقة الاثار الكولونيل ماثيو بوغدانيوس ان التسجيل المتبع في المتحف العراقي هو يدوي وناقص فكل ماموجود هي قوائم تسلم واستلام بين الهيئات التنقيبية واللجان المشرفة على حفظ الاثار وقد تعرض معظم السجلات والقوائم الى التلف بعد دخول العصابات الى المتحف والعبث بمحتويات المخازن (٣)

التحف الاثرية وقد تسبب عرض بعض الصور الفوتغرافية بواسطة التجار بجلب الاهتمام في اماكن العرض وخارجه ويمكن استنباط مقياس عام لنهب المواقع الاثرية وتهريب التحف الى الاسواق العالمية من خلال دراسة كاتولوجات دور المزاد العالمية الكبرى (١) وعلى الرغم من ان كل الاهتمام الاعلامي انصب على نهب المتحف الوطني العراقي الا انه علينا التاكيد ان المتحف هو مجرد جزء من مجمع اثاري كبير في بغداد وقد اصبحت حادثة نهب المتحف الوطني العراقي امرا مثيرا لمشاعر العالم باكمله(٢)

المبحث الثالث

صفحات من جرائم داعش :سرقة وتدميروحرق الاثار

مارس تنظيم داعش الارهابي جرائمه في المدن العراقية واستهدف بشكل خاص الارث الحضاري للعراق ويتفق المؤرخون من ان هذا الاستهداف له جذور تاريخية باعتبار ان التنظيم الارهابي وريث لفكر متطرف ومنحرف يمنح الشرعية لاتباعه ويشجعهم على تدمير الحواضر الدينية والثقافية وينعتها بنعوت التكفير والصنمية. فثمة من يحدثنا في صفحات التاريخ عن ظهور الوهابية على مسرح الاحداث السياسية - الدينية وهي حركة او حزب اسسه المستر همفر الجاسوس البريطاني في الشرق الاوسط بحدود سنة (١٧٢٢م) وانتشر بعد سنة (١٧٢٩وكان لهذا الحزب اهداف محددة وضعت من قبل وزارة الخارجية البريطانية لكي ينفذها محمد بن عبد الوهاب تضمنت ست نقاط ومايهمنا من تلك النقاط الست ماورد في شان تدميرالارث الحضاري للامة الاسلامية ومنها (هدم الكعبة باسم انها اثار وثنية ان امكن) و (هدم القباب والاضرحة والاماكن المقدسة عند المسلمين في مكة والمدينة وسائر البلاد التي يمكنه ذلك فيها) (١) وعلينا ان نفهم بان المقصود بالقباب والاضرحة المقدسة لدى المسلمين لاتستثني حتى

مرقد رسول الاسلام محمد (صلى الله عليه واله وسلم) واضرحة وقباب الائمة والاولياء والصالحين والصحابة من المسلمين حصرا وانما المقصود من ذلك كل اضرحة الانبياء والرسل والاولياء ودور العبادة السابقة للاسلام كالكنائس والمعابد والتي فيها اثر للصالحين او اثر لتاريخ او حادثة(٢)

وقد نفذ تنظيم داعش الارهابي اولى عملياته التدميرية في العراق حينما قام بحرق وتهديم مراقد الانبياء كالنبي شيت والنبي يونس وحرق الكنائس والمساجد وهدم قبور بعض المؤرخين وحطم رمزية بعض الاثار كالثور المجنح وتماثيل للملوك وامراء الحضر اضافة الى سرقة مئات القطع الاثارية والمخطوطات وتهريبها خارج العراق وفي البحث عن الدوافع المعلنة والخفية لتدمير وسرقة الاثار العراقية فان الهدف واحد كون الفاعل واحداولاقيمة للتعاقب الزمني مادام من دمر اثار بلاد الرافدين وسرقها هو ذات المجرم وان الحجة الوحيدة التي يتبجح بها المتعصبون الوهابيون او الدواعش هي ان الاثار اوثان وان الاسلام قد امر بتدميرها وهي الاكذوبة الكبرى لان ماتم تدميره لايعد حتى ظاهريا بانه وثن معبود فقد دمر بحدود ثلاثة الاف موقع اثري في كل من الموصل وصلاح الدين ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر مواقع اثرية اسلامية ومنها جامع مجاهد الدين قيماز والشيخ فتحي والنبي يونس وشيت وجرجيس ومئذنة سنجار في الموصل وهدم قبور بعض الشخصيات التاريخية كقبر المؤرخ العربي المعروف ابن الاثير وتهديم وحرق بعض الكنائس الاثرية وتحطيم بعض تماثيل الملوك الاشوريين والحضريين اضافة الى تدمير الثيران المجنحة وتدمير مدينة الحضر والنمرود وقلعة تلعفر وباشطابيا وسرقة كنوز بعض المواقع الاثرية (١) وفي صلاح الدين لم تنجوا المواقع الاثرية والتراثية من تخريب داعش الارهابي حيث تم ازالة معالم سور سمير اميس وهو من الاسوار التي تعود للعصر البابلي الحديث وقد شيده الملك نبوخذنصر الثاني وربما الذين بنوا هذا السور هم اسرى السبي البابلي الاول سنة ٥٩٩ ق. م ويصل السور الى حدود مدينة الفلوجة من خلال اغراقه بالماء مما ادى الى اضرار كبيرة فيه (٢)

وفي ١٢ حزيران ٢٠١٤ هاجمت مجموعة مسلحة مدينة النمرود القديمة وقامت بسرقة منحوتات غائرة نادرة من قصرها والذي يعود الى الامبراطورية الاشورية الحديثة في القرن الثامن ق . م كما حول تنظيم داعش مدينة الحضر وهي مدينة ذات طراز معماري

مميز من القرن الثاني ق. م ومن محميات اليونسكو للتراث الثقافي العالمي ومعزولة في صحراء الجنوب الغربي لمدينة الموصل الى منطقة تستخدم لتدريب مقاتليه كما قام التنظيم باحتلال متحف الموصل وهو ثاني اكبر متحف في العراق ولم يسلم الموروث المسيحي واليزيدي وبعض الاقليات الاثنية من افعال داعش الاجرامية حيث قام التنظيم باحتلال وحرق الكنائس والاديرة ورفع رايته فوقها (١) وفي كل ماسبق يتجلى بوضوح تميز العراق في تنوع حضاراته التي شيدت حواضر بقيت على مدار التاريخ ومثلتها تلك المواقع التي تبدا من عصر الكهوف مرورا بالحضارات القديمة السومرية والبابلية والاشورية وحضارات قبل الاسلام كالحضر والحيرة ثم الحضارة الاسلامية المتعاقبة منذ ظهور الاسلام مرورا بالعصور اللاحقة فضلا عن تنوع مصادر الحضارة بين معابد وكنائس ومساجد وتكايا وقصور ومدارس وقلاع وخانات وحمامات وغيرها ناهيك عن التحف الاثارية الفريدة من نوعها كالمسلات التذكارية والقيثارة الذهبية والاناء النذري والتماثيل المختلفة (٢) اخيرا ان العراق بلد الحضارات ومنه بدء التاريخ وكانت البداية الاولى لحضارة العالم ونحن العراقيون من حقنا ان نفخر ونزهو بذلك الارث الحضاري الذي خلفه لنا اباؤنا واجدادنا خلال هذه الحقبة الطويلة من الزمن وقد كان للمؤسسات العلمية والاكاديمية والثقافية والاعلامية دورها الفاعل في ابراز الدور الحضاري للعراق وتاثير الحضارة العراقية على حضارات العالم القديم وتحفيز المواطن العراقي في الحفاظ على موروثه الخالد

وفي الختام لابد من الاشارة الى ان كل الظروف غير الطبيعية التي عاشها العراق وابتلي فيها بعصابات ظلامية مكفرة راحت تنهال على مواطن الحضارة بمعاول التخلف لانتاج اشكال من القبح والكراهية بدلا من ايقونات الفن والمعرفة والعمارة والتي تركت اثارها على قطاع الاثار والتراث والمتاحف ورغم اصوات تفجيرات داعش في كالح وحطرا ودور شيروكين وهول تدمير منحوتات متحف الموصل وبوابة نركال الا ان وزارة الثقافة ممثلة بهيأة الاثاروالسياحة شرعت بمشاريعها الاثارية بهمة عالية وكان الحدث الاهم والمشروع الاكبر هو اعادة افتتاح المتحف العراقي في بغداد واستئناف استقباله لزواره من الداخل والخارج وافتتاح متحف الناصرية الحضاري في اول خطوة لاعادة افتتاح متاحف المحافظات بعد ربع قرن من الاغلاق ومعاودة استقبال بعثات

التنقيب الاجنبية التي منحت اجازات التنقيب فكان للبعثات الايطالية كوادرها في موقع ابو طبيرة وموقع زرغل وكان للبعثات البريطانية كوادرها في موقع خيبر والبعثات الامريكية في مدينة اور ومدينة نيبور فضلا عن بعثات اخرى في مواقع كثيرة ولم تغب البعثات العراقية عن العمل الميداني فهي مشغولة في التنقيبات الانقاذية لمواقع تتعارض مع مشاريع ذات طبيعة ستراتيجية ضمن خطة التنمية للبلاد وقد تم اكمال ملف مواقع الاهوار وملف مدينة بابل وارسلا الى مركز التراث العالمي في اليونسكوا وتم اعلان موقع الاهوار موقع عالمي على لائحة منظمة اليونسكوولاتزال هناك فعاليات اثارية وثقافية اخرى تنتظر دورها (١)

الخاتمة

من خلال ماتقدم من سطور توصل الباحث الى مجموعة من الاستنتاجات تمثل في مجملها خلاصة لبحثه هذا الذي تناول فيه الجرائم التي ارتكبت بحق الارث الثقافي العراقي عامة والاثار خاصة ابرزها تتمثل بالنقاط الاتية :

اولا: تشكل الاثار واحدة من اهم معالم الذاكرة الحضارية لبلاد مابين النهرين وخلال اكثر من قرن كانت هذه الذاكرة محط اهتمام الباحثين في المؤسسات الاكاديمية العالمية والمنظمات الدولية التي تهتم بالشان الثقافي العراقي

ثانيا : ان الاعتداءات المنظمة وغير المنظمة التي استهدفت المواقع الاثرية في العراق سواء تلك التي تقع في العاصمة بغداد او في المحافظات الاخرى عكست الهمجية والحقد الدفين على الحضارة بكل عناوينها وان ماحصل من عدوان على المتحف الوطني العراقي تم توصيفه من قبل العالم اجمع على انه جريمة بحق الثقافة والتاريخ الانساني

ثالثا : لقد استهدف المجرمون بكل عناوينهم وهوياتهم محو السجل المادي للحضارة العراقية من خلال اقدامهم على سرقة ونهب او حرق او تدمير الممتلكات الثقافية في العراق وحاولوا طمس كل مايشير الى دور العراقيين في الحضارات العالمية وماشيدوه من معالم لاتزال اثارها شاخصة حتى اليوم

رابعا : ان العدد الكبير من اللقى الاثرية المسروقة من المدن العراقية خلال الحروب التي شهدها العراق والاحداث الماساوية التي صنعت الفوضى وغياب سلطة القانون في

فترات متعاقبة من التاريخ الحديث للعراق جعل من المهتمين بملف الاثار يصفون ماحدث بالكارثة الكبيرة التي لاتزال انعكاساتها ماثلة امام الراي العام العالمي عامة والراي العام العراقي خاصة

خامسا : من خلال استعراض الاحداث التي رافقت الاعتداء على المواقع الاثرية في العراق يمكن استخلاص الدروس والعبر التي من شانها تعزيز اجراءات حماية هذه المواقع واعادة النظر باليات الحفاظ على الارث الثقافي بكل مظاهره

سادسا : لقد باتت الحاجة ماسة لتضمين المناهج الدراسية في العراق بمختلف مراحلها باهمية الحفاظ على التراث العراقي المتمثل بالشواخص التاريخية وتعزيز الثقافة الوطنية التي تولي الاهتمام للاثار العراقية بما يجعل المواطن العراقي الحامي الاول لاثار بلده في ابعد نقطة توجد فيها مثل هذه الاثار

سابعا : لم يكن المجرمون الذين نالوا من الارث الحضاري في العراق يستهدفون دين او قومية او مذهب بعينه بل ان جرائمهم طالت المواقع الاثرية التي كانت تمثل ارثا حيا لطوائف متعددة حيث لم يسلم المسلمون والمسيحيون واليزيديون وغيرهم من الطوائف العراقية من جرائم السرقة والنهب والحرق والتدمير ومافعله تنظيم داعش في المدن التي احتلها مثل الموصل وصلاح الدين والانبار يؤكد مااشرنا اليه في هذا البحث

ثامنا : اظهرت الدراسات التاريخية التي استعان بها الباحث حقيقة ان ثقافة التدمير والحرق التي امن بها تنظيم داعش الارهابي كوسيلة للقضاء على مظاهر الحضارة العراقية هي ثقافة متوارثة ولها امتداد عميق في التاريخ الانساني حيث مارس مثل هذا الدور تنظيمات وتشكيلات دينية وسياسية متطرفة غذاها الكره والحقد في اقدامها على ارتكاب افعال دنيئة بحق الاماكن المقدسة في عدد من الدول العربية والاسلامية

تاسعا : لم يكن ماحصل في العراق من ممارسات عدوانية بحق الاثار بكل مراحلها التي تبدأ بالنبش والسرقة وتسهيل تهريبها الى الخارج ووصولها الى معارض المزادات العالمية بمعزل عن سياسة مبرمجة تقف وراءها جهات تريد تفتيت الهوية العراقية وتحطيم المعنويات لشعب يمتد عمقه التاريخي مع امتداد اولى الحضارات في العالم

هوامش البحث

١. صباح جاسم الشكري : تاريخ العراق عصور ماقبل التاريخ . سومر : مجلة , المجلد ٦١, ٢٠١٥, ص ٤٢٩
٢. س . ن . كريمر , هنا بدا التاريخ (حول الاصالة في حضارة وادي الرافدين , ترجمة : ناجية المراني , بغداد , ١٩٨٠ ص١٧
٣. محمد فهد القيسي وعبد الرحيم جليل الكناني , دراسات في فلسفة التاريخ , دمشق , ٢٠١٤ , ص٢٣
٤. محمد فهد القيسي وعبد الرحيم جليل الكناني : المصدر السابق ص٢٣
٥. قائمة ببلوغرافية اصدرها المجلس العالمي للمتاحف موجودة في مكتبة المتحف الوطني في بغداد
٦. المصدر نفسه
٧. جيل ج. شتاين : تقديم كتاب الكارثة نهب اثار العراق وتدميرها , اعداد جيف امبرلينغ وكاترين هانسن , ترجمة عبد السلام صبحي طه مراجعة وتقديم د. عبد الامير الحمداني ص١٥
٨. كليمنز رايشيل : فهرسة الخسائر مشروع المعهد الشرقي : المصدر نفسه ص ٨٨
٩. اسامة الجواهري : الاثار العراقية اكبر كارثة ثقافية منذ اكثر من خمسة قرون , دار هلا , القاهرة , ٢٠٠٦ , ص٢٦
١٠. بصمة جي ., فرج : كنوز المتحف العراقي , دار الحرية للطباعة , بغداد , ١٩٧٢, ص١٢١
١١. بصمة . جي : المصدر السابق ص١٢١
١٢. حيدر محمد حسن الدراجي : اضواء على سرقة المتحف العراقي ,ط١, دار الحوراء, بغداد , , ٢٠١٠ ص١٤
١٣. (١)حيدر محمد حسن الدراجي : المصدر السابق : ص١٥
١٤. (٢) وقائع المؤتمر الصحفي لفريق التحقيق الامريكي في فقدان التحف في العراق المنعقد بتاريخ (٢٠٠٣|٥\١٦)
١٥. (٣) خالد الناشف : تدمير التراث الحضاري العراقي : دار الحمراء , بيروت , ٢٠٠٤, ص ٢٤٩
١٦. خالد الناشف : المصدر السابق ٤٥٠

١٧. (USA Tody) (٢٠٠٣\٣\١٧) عن الناشف المصدر السابق ٣٨
١٨. وقائع المؤتمر الصحفي : عن الناشف المصدر السابق ص٢٤٢
١٩. لقد ادرك العلماء المختصون بالاثار حجم الكارثة المتمثلة بعمليات النهب التي جرت بسبب العدد الكبير من القطع العراقية التي اخذت بالظهور خصوصا الاختام الاسطوانية والالواح المسمارية والتي غمرت اسواق
٢٠. مغواير جبسون : في سياق نهب المتحف الوطني العراقي , الكارثة نهب اثار العراق ,جيف امبرلينغ , ط١ ,المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت ,٢٠١٧ ص ٢٩
٢١. دوني جورج : نهب المتحف الوطني العراقي , الكارثة نهب اثار العراق , المصدر نفسه ص٤٢
٢٢. محمد اديب الحجازي : الوهابية حزب لامذهب , ط١, البحرين , ٢٠٠٨,ص١٣
٢٣. شعبان الشمري : نظرية التفكيك للنص الديني عند العقل التكفيري ,ط١,بيروت , ٢٠١٤, ص١٢٥
٢٤. (١) حيدر فرحان الصبيحاوي : تنظيم داعش هتك التاريخ والحواضر العراقية , داعش ايكولوجيا التمدد وشم الدين بالدم , مجموعة مؤلفين , ط٢, مركز حمرابي , بغداد, ٢٠١٦, ص ٤٢٦
٢٥. المصدر نفسه : ص ٤٢٨
٢٦. عبد الامير الحمداني : الموروث العراقي يتعرض الى موجة جديدة من التدمير , الكارثة نهب اثار العراق وتدميرها , ط١, بيروت , ٢١٠٧, ص ١٦٢
٢٧. حيدر فرحان الصبيحاوي : المصدر السابق , ص٤٣٥
٢٨. سومر : مجلة , بغداد , المجلد ٦١, ٢٠١٥, دار الكفيل للطباعة والنشر , ص ٧

قائمة المصادر المراجع

اولا :القران الكريم

ثانيا : الكتب

١-اضواء على سرقة المتحف العراقي : حيدر محمد حسن الدراجي, ط١, دار الحوراء, بغداد , , ٢٠١٠

٢- الاثار العراقية اكبر كارثة ثقافية منذ اكثر من خمسة قرون : اسامة الجواهري دار هلا , القاهرة , ٢٠٠٦

٣-تدمير التراث الحضاري العراقي : خالد الناشف ,دار الحمراء , بيروت , ٢٠٠٤,
٤-تنظيم داعش هتك التاريخ والحواضر العراقية , داعش ايكولوجيا التمدد وشم الدين بالدم : مجموعة مؤلفين , : ط٢, مركز حمرابي , بغداد, ٢٠١٦
٥-دراسات في فلسفة التاريخ , محمد فهد القيسي وعبد الرحيم جليل الكناني دمشق , ٢٠١٤
٦-قائمة ببلوغرافية اصدرها المجلس العالمي للمتاحف موجودة في مكتبة المتحف الوطني في بغداد
٧- الكارثة نهب اثار العراق وتدميرها , اعداد جيف امبرلينغ وكاترين هانسن ,: تقديم جيل ج. شتاين, ترجمة عبد السلام صبحي طه مراجعة وتقديم د. عبد الامير الحمداني , ط١, المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت ,٢٠١٧
٨-كنوز المتحف العراقي : بصمة جي فرج ,دار الحرية للطباعة , بغداد , ١٩٧٢,
٩-نظرية التفكيك للنص الديني عند العقل التكفيري : شعبان الشمري ,ط١,بيروت , ٢٠١٤
١٠-هنا بدا التاريخ (حول الاصالة في حضارة وادي الرافدين), س . ن . كريمر ترجمة : ناجية المراني , بغداد , ١٩٨٠
١١-الوهابية حزب لامذهب :محمد اديب الحجازي ,ط١, البحرين ,٢٠٠٨

ثالثا : المجلات

سومر : مجلة , بغداد , دار الكفيل للطباعة والنشر, المجلد ٦١, ٢٠١٥